

• من هو القديس؟

القديس، هو كل شخص عاش الفضائل الإلهية في الإيمان والرجاء والمحبة، خلال حياته على الأرض "ببطولة"، فيمكن اعتباره بعد تحقيق دقيق في سيرة حياته، علمًا من أعلام الكنيسة و"سعيدًا مغبوطًا من الفردوس بناءً على الوعود الإلهية المسبقة". تشترط الكنيسة، في بعض الحالات تأييد التحقيق بمعجزة - غالبًا ما تكون شفائية عجز الطب عن حلّها - لإعلان القداسة، وإلا تكتفي بإعلانه طوباويًا. تعني كلمة قديس كتابياً "المفروز أو المتقدس لغاية معينة"، وكل من نال سر العماد، مدعو للقداسة.

• ما هي ملامح (صفات) القديس بشكل عام؟

ملامح عامه تكون اساس مشترك في أي شخص يستحق ان يُدعى قديس طبعاً بجانب مواهبه الفردية الخاصة التي تميز اي قديس عن غيره وهي كالاتي:

- القديس انسان عاش حياة الانجيل، عاش بروح الانجيل ونفذ الوصية في حياته وظهر ذلك في سلوكه وحياته في محبته ووداعته وحكمته وعفته.
- القديس هو انسان اعطى القيادة في حياته للروح القدس، احترم وجود الروح القدس في حياته وسلّمه القيادة بالكامل "الذين ينقادون بروح الله فاولئك هم ابناء الله" (رو ١٤: ٨).
- القديس انسان عاش في شركه الكنيسة ولم يكن منعزلاً عنها، الكنيسة هي المعمل الاساسي الذي يصنع القديسين لانها جسد المسيح السري، فلا يمكن لإنسان مُنعزل عنها ان يتمتع بالقداسة بمفرده مهما كان جهاده لانه هكذا سيكون بعيد عن الله الذي هو مصدر قداسته حيث الاسرار والخدمه والاحساس بكل عضو في جسده "احملوا بعضكم اثقال بعض وهكذا تمموا ناموس المسيح" (غل ٦: ٢)
- القديس لم يكن انسانا ساذجا او سطوحيا في معرفة الكتاب المقدس لم يوجد في تاريخ الكنيسة قديس جاهل للكتاب المقدس او تافها في تفكيره الروحي بل متعمق وعامل به ومعلمين منه "هلك شعبي لعدم المعرفة" (هو ٦: ٤). البساطه لا تعني الذساجه والتفاهة والسطحيه بل تعني السلاسه وعدم التعقيد ولكن مصحوبه بالحكمه "كونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام" (مت ١٠: ١٦)
- القديس هو انسان فهم طبيعة جسده ونجح في التعامل معه، عرف القديس ان الجسد نعمه كبيرة موهوبه له من الله ويحمل صورة الله، فقام القديس بجهاده لحفظ التوازن في معادله التعامل مع الجسد. "ولكن ان كنتم بالروح تميّتون اعمال الجسد فستحيون" (رو ٨: ١٣)
- القديس هو انسان عرف كيف يستفيد من الالم في حياة حيث انه مقتنع بان "كل الاشياء تعمل معا للخير للذين يحبون الله" (رو ٨: ٢٨) فعلم القديس بان الالم له فوائد مثل التمتع بالاقتراب من الله وافاقته من غفلته وتحركه نحو التوبه وتنقيه نفسه من الشوائب و احساسه بالمتالمين فحمل صليبه وشكر ربنا عليه مقتنع بان "من يهرب من الضيقه يهرب من الله".

- القديس هو انسان تعلق بالسماء حيث انكشف له جمالها وترك العالم بشهواته ونظر لابديته الدائمة وليست الوقتيه وعاش مع حبيبه الاوحد ايام السمااء على الارض فصيروا الارض سمااء.

• ماذا يفعل لنا القديسين؟

ان القديسين الذين يحظون بالله في السمااء يعتنون بتقديسنا ويساعدوننا على النجاح في الفضائل بشفاعاتهم القوية وأمثلتهم الشريفة التي تركوها لنا : فعلينا ان نحترمهم. وبما أنهم شفعاء أقوياء، علينا أن نستغيث بهم. وبما أنهم أمثلة لنا، علينا أن نقتدي بهم.

أولاً. علينا أن نحترمهم. فباحترامنا اياهم إنما نحترم الله نفسه ونحترم يسوع بهم. فكل ما فيهم من الصلاح هو في الواقع عمل الله وابنه الالهي. ليس كيانهم سوى انعكاس للكمالات الالهية. صفاتهم الفائقة الطبيعة هي عمل النعمة الالهية المستحقة بيسوع. منها أعمالهم الاستحقاقية التي، وان كانت خيرهم الشخصي، لأنهم برضاهم الطوعي تعاونوا عليها مع الله، فهي أيضاً موهبة من هو السبب الأول والفاعلي: " بتتويجك استحقاقاتنا إنما تتوج مواهبك".

• من نكرم من خلال القديسين (في القديسين)؟

اذن نكرم في القديسين :

أ) الثالث الاقدس الحي: الذي تنازل وسكن فيهم وزين نفوسهم بفضائل ومواهب وأثر في قواهم ليجعلها تصدر عن حرية أعمالاً استحقاقية ومنحهم النعمة علامة الثبات.

ب) أبناء الأب بالتبني : أحبهم حباً عجيباً واحتاطهم بعنايته الأبوية. فعرفوا أن يقابلوه على ذلك باقتراهم شيئاً فشيئاً من قداسته وكمالاته.

ت) أخوة يسوع وأعضاؤه الأمناء: الذين بانضمامهم الى جسمه السري تلقنوا منه الحياة الروحية فهذبوها بحب وثبات.

ج) معابد الروح القدس: وعُماله الخاضعين المسلمون قيادهم الى إلهاماته بدل ان يتبعوا بعى ميول الطبيعة المفسودة.

• اليك هذه الأفكار التي يجيد في شرحها الأب أوليه : " لذلك تستطيعون أن تعبدوا باحترام عميق حياة الله المنبثة في كل القديسين. وتعظموا يسوع المسيح مقويهم جميعاً ومكملهم بروحه الالهي ليكونوا جميعهم واحداً فيه ... هو المرئم فيهم المدائح الالهية. هو الملقى في أفواههم كل نشيد. هو الذي يمدحه جميع القديسين ويسبحونه مدى الأبدية".

• لماذا علينا أن نطلب شفاعتهم؟

علينا ان نستدعهم لننال بشفاعتهم القوية وبسهولة اكثر ما نحن بحاجة اليه من النعم. لا شك ان وساطة يسوع وحدها ضرورية وكافية بذاتها. لكن بحصر المعنى، بما أن القديسين هم أعضاء يسوع القائم من الموت، يضمون صلواتهم الى صلواته. اذن كل جسم المخلص السري يصلي ويغتصب قلب الله اغتصاباً عذباً.

فالصلاة مع القديسين هي اذن اتحاد صلواتنا بصلوات الجسم السري بأسره وتأكيد نفاذها. وعدا ذلك، يغتبط القديسون بشفاعاتهم فينا: "يحبون فينا اخوةً ولدهم أب واحد عينه. يشفقون علينا واذ ينظرون الى حالتنا يتذكرون الحالة التي كانوا هم أنفسهم فينا. فيعرفون فينا نفوساً عليها ان تعمل مثلهم على مجد يسوع. فبأي فرح لا يشعرون حين يمكنهم أن يصادفوا شركاءهم يعاونونهم في تأدية احترامهم لله وإشباع رغبتهم في أن تمجده مئات ومئات ألوف الأفواه اذا تم لهم ذلك" (أوليه). اذن يجب أن تلهمنا قدرتهم وصلاتهم ثقة تامة.

ولا سيما حين نحتفل بأعيادهم نطلب شفاعاتهم. هكذا نتحقق في روح الليتورجيا الكنسية ونشترك في الفضائل السامية التي مارسها هذا القديس أو ذاك.

● لماذا علينا الاقتداء بالقديسين؟

علينا أيضاً أن نقنطدي خصوصاً بفضائلهم. قد اجتهدوا جميعاً في إظهار رسوم المثل الالهي واستطاعوا ان يكرروا علينا قول القديس بولس: "اقتدوا بي كما أقتدي أنا بالمسيح" (١ كور ٦: ١٦). قد اعتنوا غالباً في فضيلة خاصة هي، كما يقال، فضيلتهم المميزة: بعضهم في سلامة الإيمان وغيرهم في الثقة والمحبة، والبعض في روح التضحية والاتضاع والفقر، وغيرهم في الفطنة والقوة والقناعة أو الطهارة. فنسأل كلاً منهم بوجه أخص الفضيلة التي مارسها، موقنين أن عنده نعمة خصوصية يسعفنا في تحصيلها.

لذلك تتجه تقواتنا نحو القديسين الذين عاشوا في مثل حالتنا نفسها، وقاموا بأعمال شبيهة بأعمالنا ومارسوا الفضيلة التي نحن في أشد الحاجة إليها.

وإذا تناولنا الأمر من ناحية أخرى فلدينا أيضاً عبادة خاصة للقديسين شفعاتنا اذ نرى في اصطفائنا اياهم شفعاء دلالة على العناية الالهية. فعلى أن نستفيد منها.

ولكن اذا حملتنا جواذب النعمة لأسباب خصوصية على الميل الى هذا القديس أو الى ذاك الذي تتفق فضائله مع حاجات نفوسنا فلا يمنعنا شيء من الرغبة في الاقتداء بفضيلته بعد استشارة مرشد حكيم.

ان عبادة القديسين المفهومة بهذا الشكل مفيدة جداً: فأمثلة هؤلاء الذين كان فيهم نفس ما فينا من الأهواء وكابدوا التجارب ذاتها، فبالرغم عن كل ذلك وبمساعدة النعم نفسها التي تساعدنا، قد انتصروا، هي دافع قوي يجعلنا نخجل من جبانتنا ونقصد مقاصد نافذة ونعتني عناية ثابتة لنتمم بالفعل تلك المقاصد. ولا سيما حين نتذكر كلمات أغسطينس: "لِمَ لا تقدر أنت على ما قدر عليه أولئك؟" فصلواتهم تتمم عملنا وتساعدنا على اقتفاء آثارهم.

إعداد: الاخوت مريم فرح المسيح

رهينة الكلمة المتجسد

المرجع الرئيسي: خلاصة التصوف المسيحي (١)